# المُقارباتُ التَّداوليةُ في قَصيدةِ (وجَهْ الصباح)

## للشاعر السيد جعفر الحلي رحمه الله

م.م. حيدر عذاب حسين

المديرية العامة لتربية كربلاء

المُلخّص

يسعى بحثنا هذا إلى دراسة قصيدة (وجه الصباح) للشاعر السيد جعفر الحلي رحمه الله دراسة تداولية،وذلك بتطبيق المنهج التداولي على بعض مقاطع تلك القصيدة وهو المنهج الذي يركز على البنية اللغوية نفسها ويبرز فعاليته في دراسة الخطاب الشعري.

واستهل البحث بمقدمة نظرية مكثفة سلطت الضوء على أهمية اللغة والسعي الحثيث من قبل علمائها لتحليل محتوياتها، ثم بينا ما للتداولية من أهمية في الكشف عن مقاصد المتكلمين، وذكرنا أهم تعريفاتها التي عرفت بها واستقرت عليها.

بعدها عرفنا بشاعرنا الحلي وقصيدته (وجه الصباح) ميدان البحث، ودرسنا السياق التواصلي لها، وما له من دور في إيصال المعنى، ثم درسنا الإضمارات التداولية للقصيدة (الافتراض السابق)، ففي كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية لتحقيق النجاح في عملية التواصل.

وبعدها بَيَّنَّا الأفعال الكلامية في القصيدة، وأهميتها في بحث العلاقة بين اللغة والاتصال،ومراعاة الجانب الاستعمالي طبقاً لسياقات التخاطب المقالية والمقامية،ثم خُتِمَ البحثُ بأهم النتائج.

# The Pragmatic Approaches in the Poet Sayid Ja›far Al-Hilli›s Poem Entitled(The Face of Morning)

*by Haider Athab Hussain*

*Our present paper attempts to study Sayid Ja›far Al-Hilli›s Poem Entitled(The Face of Morning) pragmatically, i.e. , through applying the pragmatic approach on some parts(stanzas) of the poem. By the pragmatic approach we mean that approach which focuses on the linguistic structure itself and highlights its vitality in studying the poetic discourse.*

*The paper starts with a brief condensed theoretical introduction shedding light on the importance of language and the fast efforts of its linguists to analyze its components. Then we demonstrate the importance of pragmatics in uncovering the intentions of the speakers, and we also mention the most important definitions of pragmatics.*

*Afterwards, we inform the reader with our poet, Al-Hilli, and his poem (The Face of Morning), the topic of the paper. We also study the communicative context of the poem and its role in delivering meaning. Then we investigate the pragmatic ellipses of the poem(the previous proposition). In fact in every linguistic communication, the participating interlocutors embark from data and assumptions acknowledged and agreed upon by them. These data and assumptions formulate the communicative background leading to the success of the communicative process.*

*Finally, we indicate the speech acts in the poem and their significance in investigating the relationship between language and communication, paying attention to the dimension of use according to the discoursal and pragmatic contexts. The paper is concluded by the most important conclusions.*

## المقدِّمة

البحوث اللغوية بطبيعتها تركز على أغراض اللغة؛ ذلك لأن المتكلم يرمي إلى تحقيق قصد معين في خطابه سواء كان نثراً أم شعراً.

فلهذا عزم العلماء والباحثون على دراسة اللغة دراسة علمية؛ بغية فكّ شفراتها وتحليل محتوياتها، فوجدوا أنفسهم أمام ظاهرة شديدة التعقيد لا يتسنى لمنهج واحد أن يصف خصائصها وصفاتها، ويفسّر ظواهرها تفسيراً واضحاً يصيب كبدها، فافترضوا مناهج متعددة لكشف أسرارها ومضامينها.

غير أن تلك المناهج التي تناولت اللغة بالدرس والتحليل قد أفرزت إشكالات متنوعة حالت دون الوصول إلى الهدف المرتجى، ذلك أن قسماً منها قد أخرج الأحوال النفسية التي يكون فيها المتكلم في أثناء إنتاج الرسالة اللغوية، كذلك أهمل قسمٌ من هذه المناهج مسألةَ المقام إهمالاً تاماً، فأضحتِ اللغة نشاطاً عقلياً مجرداً، ليس للتواصل الاجتماعي أثر فيها.

وعلى هذا برزت مناهج أخرى حاولت أن تعيد مقام المتكلم إلى حظيرة التحليل اللغوي، كما حاولت أن تعطي السياق أثره في ذلك التحليل، فكانت التداولية أحد أبرز تلك المناهج، بلحاظ أن التداولية هي دراسة اللغة في أثناء الاستعمال.

والتداوليةُ تسعى إلى الكشف عن آليات وكيفيات تحقيق مقاصد المتكلم, فهي تختص بدراسة علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه وطرق استعمال العلامات اللغوية بنجاح، وتتناول النصوص، انطلاقاً من البنية اللّغوية، مولياً أهمية خاصة للعوامل المقامية، والأحوال السياقية، مانحة دوًرا لكلّ من المتكلم (المبدع)، والمستمع (المتلقي)؛ لأنَّ الأثر الأدبيَّ

أو اللغوي لا تتحقق فاعليته إلَّا ضِمْن مسار تواصلي ثنائي، طرفاه المبدع والمتلقي، ولكون التداولية تبحث في مقاصد المتكلمين، فلا تقتصر الدراسة فيها على اللغة العادية وحسب؛ بل يمكن تطبيقها كذلك على الخطاب الشعريّ، ومن هنا فإن الخطاب الشعري يؤدي وظيفة إقناعية، فهو يؤثِّر في المتلقي بالصورة الجمالية واللغة والإيقاع، وفيه مزج بين الإقناع والإمتاع.

وفي ضوء هذا التصوّر يتخذ هذا البحث من الدرس التداولي منهجاً، ومن قصيدة (وجه الصباح) للشاعر السيد جعفر الحلي مجالاً للتطبيق.

## التداولية

إنَّ الساحةَ اللغوية بعد ظهور التداولية شَهِدَتْ تغييراً في المناهج والمفاهيم, فلم تعد الدراسة اللغوية مقيدة بالأطر البنيوية التقليدية، ولا حتى التوليدية التحويلية، إذ انفتح الدرس اللغوي الحديث على مساحات عديدة وفضاءات منهجية متنوعة بغية الوصول إلى حقيقة اللغة.

والتداولية من اللسانيات التواصلية التي تدرس اللغة على أساس أن الوظيفة الأساسية لها هي التواصل، والربط بين النظام اللغوي وكيفية استعمال هذا النظام.

أمَّا الإرهاصات الأولى للتداولية فقد بدأتْ عند شارل موريس الذي استعمل مصطلح (pragmatics)[1] في مقالته (أسس نظرية العلامات) سنة (١٩٣٨م)، وعرَّفها بأنَّها العلم الذي يدرس علاقة العلامات بمستعمليها[2]، وهذا التعريف يتسم بالعموم والشمولية، فهو يتجاوز الإطار العام للسانيات إلى حقل السيميوطيقيا، وكذلك التواصل الإنساني فيتعدَّاه إلى التواصل الحيواني والآلي، ولم يحدد سوى البعد الوصفيّ للتداولية[3]، ولذلك عُرِّفَتْ تعريفات متعددة بعده بُغية

ضبط المصطلح، وضبط حقله البحثي، ومن تلك التعريفات تعريف (فيرشون)، الذي عرَّفها قائلاً: «تدرس التداولية السلوك اللفظي الإنساني، والبعد الذي تدرسه التداولية هو الصلة بين اللغة وحياة الإنسان بشكل كامل»[٤]، ويكاد يوافقه (إيلوار) بما حدَّه للتداولية؛ إذ ذهب إلى أنَّها (إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية في الاهتمام بثلاثة معطيات لما لها من أثر فعّال في توجيه التبادل الكلامي وهي: المتكلمون «المخاطَب والمخاطِب) والسياق (الحال / المقام)، والاستعمالات العادية للكلام؛ أي الاستعمال اليومي والعادي للغة في الواقع»[٥]، وعُرِّفت أيضًا بأنَّها: «دراسة الارتباط الضروري لعملية التواصل في اللغة الطبيعية بالمتكلم والسامع بالمقام اللغوي، وبالمقام غير اللغوي، وارتباطها بوجود معرفة أساسية وبسرعة استحضار تلك المعرفة»[٦].

وفي ضوء ما سبق يمكن تعريف التداولية أنَّها: تهتم بدراسة المعنى الكامن في تداول الكلمات بين المتكلم والمتلقي في سياق ما, وليس المعنى الكامن في الكلمات وحدها أو المرتبطة بأحد مكونات الرسالة اللغوية، أي أن التداولية لا تكتفي بالوصف والتفسير عند حدود البنية اللغوية أو المستوى الشكلي لها, بل تتجاوز إلى مستويات أعمق، وأكثر استيعاباً للظاهرة اللغوية، بكل أبعادها التواصلية، ذلك أنها تدرس اللغة وعلاقتها بمستعمليها.

## الشاعر والقصيدة

هو أبو يحيى السيد جعفر بن أبي الحسين محمد بن محمد حسن بن أبي محمد عيسى بن كامل بن منصور الشهير بالحلّي، من أشهر مشاهير شعراء عصره ومن أركان النهضة الأدبية في عصره.

وُلِدَ في قرية السادة إحدى قرى الحلة في النصف من شعبان عام ١٢٧٧هـ[٧] ، ويعد منْ أشهر شعراء الرثاء الحسيني؛ إذ هو يلي السيد حيدر الحلي (١٨٣١- ١٨٨٧) في هذا الرثاء.

وأدب الطف هو أحسن شعر السيد جعفر الحلي[٨]. جمع ديوانه أخوه العلامة السيد هاشم, ورتبه على الترتيب المطبوع, توفي ﷺ عام ١٣١٥هـ ودفن بوادي السلام [٩].

أما قصيدته (وجه الصباح)، فَتُعَدُّ من معلقات الأدب الحسيني, والقصيدة تصف الشجاعة التي اتسم بها الحُسين عليه السلام وأصحابه رغم قلة عددهم مقابل الطرف الآخر الذي اتسم بالظلم والجبن في الوقت نفسه، ولإيصال ذلك المعنى نقلت القصيدة الصورة من المألوف إلى الخيال لتقص ملحمة الطف وشجاعة أبطالها.

وتتميز القصيدة بجملة من الخصائص التي تؤهلها لأنْ تكونَ مجالاً لتطبيق الدراسة التداولية.

## السياق التواصلي

السياق يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى، وسّماه بعضهم القرينة الحالية، التي تعني تلك الأجزاء التي تسبق النص أو تليه مباشرة، ويتحدد من خلالها المعنى المقصود [١٠]، ويعد السياق عنصرا مهما «في قيام النظرية التداولية وهو يتكون من مجموعة العناصر المصاحبة للحدث اللغوي، كالمرسل والمخاطب والزمان والمكان وعدد المشاركين في الحدث اللغوي وطبيعة المناخ والوضع السياسي أو الاقتصادي إن كان لها دور في بناء وتحليل التركيب اللغوي»[١١].

وهناك أمور تتحكم بالسياق تكون متعلقة بالمتكلم «أولها المتكلم نفسه، هل هو ذكر أم أنثى؟ صغير أم كبير؟ واحد أم اثنان أم جماعة أم جمهور؟ وما جنسه

ودينه وشكله الخارجي ونبرة صوته ومكانه الاجتماعي إلى آخر هذه الصفات التي تميزه عن غيره. وهذا ينطبق على المستمع أيضاً. ويشمل إضافة إلى ذلك علاقته بالمتكلم من حيث القرابة أو الصداقة أو المعرفة السطحية أو عدم المعرفة أو عدم اللامبالاة أو العداوة»[١٢].

والتداولية تهتم بطرح أسئلة مختلفة عن أي نص لغوي، وتحاول الإجابة عنها بغية الوصول إلى القصد الدقيق لعملية الخطاب، ومن هذه الأسئلة:

١. من متكلم النص؟

٢. من متلقي النص؟

٣. ما زمان النص؟

٤. ما مكان النص؟

٥. ما موضوع النص؟

٦. ما هو مصدر التشويش والإيضاح؟ وكيف نتحدث بشيء ونفهم شيئا، في حين نريد قول شيء آخر؟[١٣].

إن كل نص أدبي شعراً كان أو نثراً لا يخلو من مخاطبة ذوات ما سواء كانت هذه الذوات داخلية, أم خارجية متحققة بفعل الذوات الداخلية التي تمكن من توجيه الخطاب إلى شخص بعينه قد يكون ممدوحاً أو مهجّوا ، ولكن النص الشعري لا تنتهي حدوده التخاطبية عند الذات المقصودة بالخطاب؛ بل يتحول وصول الرسالة ذاتها إلى رسالة ممتدة في الزمن حسب ما وَفَّرَ لها صاحبها من إبداع، يخرج بها دائرة تحديد شخص بعينه، إلى مجال أوسع.[١٤] وهذا ما سنكتشفه في أبيات شاعرنا الحلي في قصيدته، وذلك عن طريق تحليل تلك الأبيات باستعمال آليات تداولية مناسبة تقودنا إلى تحديد (المتكلم، والمتلقي، والرسالة)، وفي هذا الصدد تظهر التداولية ليس بوصفها سلة مهملات كما شاع نعتها ، ولكن بوصفها جامعاً بين

الأقطاب العملية التواصلية، فقد أعادت المبدع للواجهة بتركيزها على القصيدة، ومنحت النص فرصة إظهار هذه المقاصد.[١٥]

المتكلم هو الشاعر السيد جعفر الحلي وهو يبدأ قصيدته حيث يقول في مطلعها:

وجه الصباح عليّ ليلٌ مظلمُ
وربيع أيامي عليَّ محرمُ
والليلُ يشهد لي بأَني ساهرٌ
مُذ طابَ للناس الرقادُ وهوَّموا
قَلِقاً تُقَلِّبني الهمومُ بمضجعي
ويغورُ فكري في الزمانِ ويتهمُ

عمد الشاعر (المتكلم) إلى استعمال أسلوب الخبر في الأبيات المتقدمة، والخبر كما نعرف إما أن يكون خبراً صادقاً أو كاذباً، أو خبراً لا يوصف بالصدق ولا الكذب، فالصادق ما طابق الواقع والاعتقاد معا، والكاذب ماخالف الواقع والاعتقاد معا، أما ما طابق الواقع وخالف الاعتقاد والعكس فهذا لا نسميه صدق ولا كذب[١٦].

فالشاعر يعتقد بأن الخبر الذي تضمنته أبياته هو وسيلة يستطيع عن طريقها أن يؤثر في المستمع (المتلقي)، وذلك بوصف الخبر آلية تداولية, فهو «يقوم على ملاحظة مقتضى الحال، أي مراعاة الموقف النفسي من حال السامع تجاه ما يخبر به, واضطرار المتكلم إلى تعديل الكلام والتصرف فيه حتى يلائم حال السامع ويؤدي وظيفته التواصلية الإبلاغية»[١٧].

فنجد الشاعر قد عَبَّرَ عن ذاته في هذه الأبيات المتقدمة, فهو يظهر معاناته, وقد تمكَّن الحزنُ منه وجعل حياته دائمة الأسى وحزنه مستمراً، ذلك بأنه أصبح وجه الصباح الذي هو عنوان للتفاؤل والفرح والسرور ليلاً مظلماً بالنسبة إلى الشاعر، بلحاظ المعاناة التي تتجدد عنده كل يوم , حتى صارت ملازمة له.

لا بد لكل متكلم -شاعراً كان أو كاتباً- من أدوات يستعملها للتأثير في مستمعيه، فتساعده للوصول إلى غرضه المنشود، أما تلك الأدوات فهي حصيلة الشاعر البلاغية واللغوية، فاللغة ظاهرة اجتماعية شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها، وأن هذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمون كُلّاً منها مقاماً، فمقامُ الفخرِ غيرُ مقام المدح، وهما يختلفان عن مقام الدعاء أو الاستعطاف أو التمني أو الهجاء، وكان من رأي البلاغيين أن (لكل مقام مقال)؛ لأن صورةَ المقال تختلفُ في نظر البلاغيين بحسب المقام[١٨].

إن (السياق التواصلي) العام الذي يجري في الحديث، ينعكس في طبيعة الاستراتيجية التي يتبناها المتحاوران، لأن تبني المتكلم لإستراتيجية معينة دون غيرها «يتعلق بالسياق في عموميته، أي يتعلق بالمتحاورين وبعلاقتهما داخل السياق، بل ويتعلق بما هو خارج السياق، أي يتعلق بما يعرفه (المتكلم) عن الآخر(المتلقي) وما يعرفه المتحاوران عن المقام وعما يُريدانِ قوله أو سماعه، وهما يعرفان معرفة تامة المدى الذي يمكن أن يبلغاه في التحاور»[١٩].

فنجد شاعرنا الحلي قد جاء بصور منسجمة مع المقام الذي وردت فيه، مراعياً ما يعرفه عن ثقافة (المتلقي)واعتقاده، فقد نجح في استنطاق الحياة الجامدة، وجعلها تتحدث وتحكي المعاناة التي عاشها الشاعر بصورة بلاغية جميلة، وأجاد الشاعر في نقل معاناته الشخصية الذاتية، فجعلها معاناة عامة، وأشركَ الليلَ والنهارَ معه في ذلك الحزن.

وهذا ما نجدهُ في الأساليب التي استعملها ووظفها في منظومته منها:

الطباق والمقابلة في (الليل, النهار) و (السهر, الرقاد). وكذلك استعماله لأسلوب التشبيه, فقد جعل للصباح وَجْهاً يطل على الناس وهذه كلها يمكننا أن نعدها آليات تداولية تساعد المستمع (المتلقي) على فهم معنى النص واستيعابه.

و للوصول إلى المعنى في صورته الشاملة لابد من أن نستخدم الطرق التحليلية التي تقدمها لنا فروع الدراسات اللغوية المختلفة, ومن تلك الفروع (المعجم)، والحقائق التي نصل إليها بوساطة المعجم هي حقائق جزئية تقودنا إلى الحقائق الكلية أي (المعنى الدلالي) [٢٠]. ونستطيع أن نبين ذلك في كلمة (غور) التي وردت في البيت الذي يقول فيه الشاعر:

قلقا تقلبني الهموم بمضجعي

ويغور فكري في الزمان ويتهم

فكلمة (غور) في المعاجم العربية منحدرة من الغار, جاء في تاج العروس: الغور بالفتح: القعر من كل شيء وعمقه وبعده, ورجل بعيد الغور: أي قعير الرأي جيده [٢١].

من هذا نستخلص بأن كلمة غور تعني التعمق, والدخول أو الاخفاء, فعندما نقول: غارت العين أي اختفى ماؤها، وغارت الشمس اختفت وغربت.

من عرض كلمة (غور) على المعاجم العربية استطعنا أن نعرف المعنى العُرفي لتلك الكلمة، ومن ثم نستطيع أن نصل إلى المعنى الكلي (الدلالي) عن طريق العلاقة العرفية بين الكلمة ومعناها، وذلك بعد وضعها في السياق المناسب، وهذا الذي فعله شاعرنا الحلي فقد أجاد في استعمال كلمة (غور)؛ إذ وضعها في سياق أعطاها المعنى المطلوب، والذي يستطيع المتلقي تخيله بقليل من التأمل.

فالشاعر أراد القول: إن الخوف والقلق الذي سيطر عليه استطاع

أن ينقلـه إلى عالم آخر جعله يفكر ويتأمـل, ثم يندد ويشـكك (يتهم) فـي هـذا الزمـن. وهـذه الصورة وصلت إلى المتلقي عن طريق آلية من الآليات التداولية وهي (السياق)، أي ادخال الكلمـات بمعناها المعجمي فـي سياق خـاص بهـا يستطيع عن طريقـه الوصل للمعنـى المراد, ذلك أن المفردات والعبارات لا تكون لها قيمة إلَّا إذا كانتْ في السياق الذي يناسبها.

وننتقـل للمقطوعـة الثانية من القصيدة وهي:

مَنْ لـي بيوم وغَـى يشبُّ ضـرامهُ
ويشيبُ فـودُ الطـفل منه فيهرمُ
يلقـي العجاج به الجـران كأنَّهُ
ليـلٌ وأطـراف الأسـنة أنـجمُ
فعسى أنـال من التراب مواضياً
تسدى عليهـن الدهـور وتلحمُ
أو مـوتة بين الصفـوف أحبها
هي ديـنُ معشريَ الذيـن تقدَّموا

بعد أن وجدنا الشاعرَ الحلِّي قد أوضـح في أبيـات مقطوعته الأولى من القصيدة معاناته التي يعيشها، نجـده فـي هـذه المقطوعـة يتمنى أمنيات متعددة, فهو في البيت الأول الذي يقول فيه:

مَـنْ لـي بيوم وغى يشب ضـرامه
ويشيب فود الطـفل منه فيهـرم

إذ استعمـل أسلـوب الاستفهام؛ الذي يخرج فيه إلى أغراض مجازية أخـرى كـي يتلاعـب بصياغـة نصوصـه, لتحقيـق عنصـر الإثارة والتشويق عند المتلقي, فإذا استعملت أدوات الاستفهـام في غيـر معانيها الأصلية فإنها تعطي الكلام حيوية, وتزيد الإقنـاع والتأثير به, وذلك لما في هذا الاستعمال من إثارة السامع وجـذب لانتباهه, ومن إشراكه في التفكير, ليصل بنفسه إلى الجواب دون أن يملى عليه.[٢٢]

فالشاعـرُ يتمنّى حدوثَ معركة شديـدة بـكل تفاصيلهـا ويكون مشاركـاً فيهـا، هـذه المعركـة

الضاريــة إذا اندلعت تجعل الأطفال تهرم من شدة قسوتها وضراوتها.

وبعدها ينتقل الشاعر إلى أسلوب الترجي باستعمال الفعل (عسى) في البيت الذي يقول في صدره: (فعسى أنال من التراب مواضعاً).

فكلنــا نعلم أن هنــاك فرقاً بين الترجــي والتمني, أمــا الترجّي فهو ترقّب حصول الشــيء المراد إنجازه وتحقيقه؛ فالرجاءُ يكــونُ مع بذل العطاء والجهــد، وحسن التوكل، ومع إمكانية حصولــه, أما التمني فهــو طلــبُ حصــول الشــيء سواء كان ممكناً أو ممتنعاً, كما ميز البلاغيــون بــين نوعين مــن التمني وهما: الأول توقع الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه مستحيلاً, والثانــي توقع الأمــر المحبوب الذي يرجــى حصوله لكونه غير مطموح في نيله[٢٣].

إلا أن شاعرنا يرجو ويطلب أمراً ممكــن الحصول، وهــو نيل الموت في تلك المعركة الضارية التي تمنى حصولهــا, فهــو يعتقــد أن موته أو شهادته هي التي تحققُ النَّصرَ.

فهــو يتمنــى ويرجــو أن ينــال (التــرات)، – وجدتها(التراث) في (كتــاب مصائــب أهــل البيــت)، فالشاعــر هنــا يريد بذلــك القتال دخــول التاريــخ، ويحقق مــن هذه المعركــة مجدًا مُخلــدًا ومُستمرًا، وهذا المعنى ممكن أنْ نستنتجَهُ من عجز البيت الذي يقول فيه:

(تسـدي عليهن الدهـور وتلـحم)

من هذا يتضح أنّ الخطابَ الثوريَّ عند الشاعر تأثيــري في مكوناته المسبقة،وفي مسكوكاته والغرض منــه استمالــة المتلقي الــذي يتمتع بفاعليــة الخطــاب، وله فــي نفسه مكان عظيم, بل يتحول إلى مقدس بمجــرد بلوغــه إيــاه، وإن كانــت النصــوص لا تظهــر هــذا الجانب بوضوح, وتفصح عنــه لكل قارئ, وتتفاوت فيما بينها في درجة شدته؛

لذلك احتاج هذا النص لهذه الآلية التقريرية، لتحقيق التأثير المباشر في (المتلقي) مهما كانت درجة تقبله للنص.[٢٤]

**الإضمارات التداولية (الافتراض السابق).**

إن العلاقة بين طرفي الخطاب المرسل والمتلقي من أهم العناصر السياقية التي تؤثر في تحديد العلامات اللغوية المناسبة، فالمرسِلُ عند إنتاج نصّهِ يأخذُ بنظر الاعتبار الخلفية الثقافية والمعرفية وما يملكه المتلقي من معلومات وأفكار تضيء معالم الرسالة وتمنحه النور ليرى ما تحمله التراكيب السياقية من دلالات تداولية، ففي كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواه ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة في الملفوظ.[٢٥]

إذ ينطلق الشركاء في العملية التواصلية من معطيات معرفية متّفق عليها بينهم, تمثّل الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في العملية التخاطبية؛ ذلك أنّ المتكلم يوجهُ كلامهُ على وفق مجموعة الوقائع والحقائق والاعتقادات التي يفترض مسبقاً معرفة المخاطب لها, ولهذه المعارف المشتركة بين أطراف العملية التخاطبية أثر كبير في توجيه العملية التحاورية؛ لأن التواصل اللغوي لا يحصل في أي حوار بين طرفي العملية التخاطبية إلاّ وطرفاها يشتركان في هذه المعرفة المسبقة، فكلّ سلوك تواصلي لا ينطلق ألبتة من فراغ فكري أو اجتماعي؛ بل يعتمد على ما تراكم من تجارب سابقة , ليتمّ تشغيلها كمقدمات لتهيئة التواصل[٢٦].

وقد أطلق بعضُ الباحثين المحدثين، مصطلح الإضماراتِ التداولية، بلحاظ أن الإضمارات

التداولية «عبارة عن الإضمارات التي يكون الأصل فيها مقامات الكلام وسياقاته من حيث مناسبته لها»[٢٧].

إذن, فالافتراض السابق آلية من آليات المنهج التداولي تُعنى بدارسة المعارف المشتركة بين المتكلم والمخاطب، أو بين ما ينبغي أن يكون معروفاً أو يفترض العلم بهِ مسبقاً قبل إجراء الخطاب، فعندما نقول على سبيل المثال:

أ. زيد اغتيل سنة ١٨٦٨م.

ب. زيد قتل سنة ١٨٦٨م.

يتضمن افتراضاً مسبقاً، فاستعمال الفعل (اغتيل) في الجملة (أ) يفترض أن زيداً شخصية سياسية بارزة، بخلاف الفعل (قتل) في الجملة (ب).[٢٨]

والافتراض السابق هو»مفهوم برجماتيكي تتضمنه العبارة في المقام الذي ترد فيه من حيث المعلومات المشتركة لدى المتكلم والمخاطب »[٢٩].

إنَّ المتكلم عندما يقوم بتأليف كلامه يكون على وجه تداخلت في تأليفه عناصر كثيرة ترتبط بشخصيتهِ برابط ما ، ومن هذه العناصر تلك الافتراضات المسبقة التي ينطلق منها, وهي افتراضات يمكن استنباطها من كلامهِ؛ لأنّها تكون متضمنة فيه ولا يجد المخاطب صعوبة في إدراكها, وتصدر هذهِ الافتراضات عن المعلومات التي اكتسبها المتكلم من خلال محيطه الاجتماعي ومواقفه الشخصية[٣٠].

((فإذا قال رجل لآخر: اغلق النافذة، فالمفترض سلفاً أن النافذة مفتوحة، وأن هناك مبرراً يدعو إلى إغلاقها، وأنّ المخاطب قادر على الحركة، وأنّ المتكلّم في منزلةِ الآمر)).[٣١]

هذا وقد ميّز بعض الباحثين بين نوعين من الافتراض السابق: المنطقي، والتداولي، فالأول مشروط بالصدق بين قضيتين، فإذا كانت القضية (أ) صادقة كان من اللازم

أن تكــون القضيــة (ب) صادقــة أيضــاً, فلو قلنا مثــلاً: إن المرأة التي تزوجهــا زيد كانــت أرملة, وكان هذا القــول صادقاً لــزم أن يكون القول: زيد تزوج أرملة صادقاً أيضاً, وأمــا الافتراض التداولــي فليس لهُ دخل بالصدق أو الكذب , وإنما هو مشروط بالمعلومــات المشتركة بين المتكلم والمخاطب.(٣٢)

وعلــى وفــق هــذا التصــور عن الافتراض السابق وإجراءاته، سوف نحلل مقطوعات القصيدة.

يقول شاعرنا الحلي في قصيدته:

مــا خِـلتُ أنَ الدَّهــرَ مِن عــاداته
تروى الكلاب به ويُظما الضيغمُ
ويقــدم الأمــويّ وهــو مــؤخرٌ
ويؤخَّــرُ العلــويّ وهــو مقــدمُ
مثل ابــن فــاطمة يبيتُ مــشرداً
ويــزيدُ فــي لــذَّاتهِ مُــتنعمُ
يرقَــى منابرَ أحــمد متآمــراً
فــي المسلمين، وليسَ ينكر مسلمُ
ويضــيَّقُ الدنــيا علــى ابــن محمد
حتــى تقــاذفه الفضاءُ الأعــظمُ

إن هذه الأبيات المتقدمة تستبطن افتراضات سابقة عديدة منها:

أولاً: إنَّ في قوله:

مــا خــلتُ أنَّ الدهــرَ من عاداته
تروى الكلاب به ويُظما الضيغمُ

افتــراض سابــق مفــاده وجــود تناقــض رهيــب اذ أنّ الدهــرَ جعلَ الأســد وهو الأعلــى منزلة من كل الحيوانات عطشانَ، والكلاب التي هي أقــل رتبة وقــوة تعيش في رغد ونعيم. من هذا نجد أن الأسد عاش فــي مخيلــة السيد جعفــر الحلي، ويبدو أنه كان معجباً بهذا الحيوان المفترس، فالأســد (سيد السباع)، وهو أشرف الحيوانــات المتوحشة، ومنزلتــه منهــا منزلة الملــك المهاب لقوته وشجاعتــه وقساوته وشهامته وجهامتــه وشراســة خلقــه ولذلك يضرب بــه المثل في القــوة والنجدة

والبسالة وشدة الإقدام والجراءة والصولة، فالأسد كريم شريف لذلك فهو يشبه به الإمام الحسين عليه السلام[٣٣].

أما في البيت الثاني:

ويقدم الأمويّ وهو مؤخرٌ

ويؤخر العلويّ وهو مقدمُ

فهناك افتراض سابق بأن الأموي ترتيبه الطبيعي له هي المؤخرة, فأما العلوي ففي المقدمة، والذي يعضد هذا الافتراض هو تعجب الشاعر، فكأنما يتساءل وهو متحير كيف يقدم الأمويّ الكافر على العلويّ الشريف؟ وهو يفترض أن يكون العكس.

وبعدها يسترسل الشاعر ويقول:

مثل ابن فاطمة يبيتُ مشرداً

ويزيد في لذاته متنعمُ

يرقى منابر أحمد متآمراً

في المسلمين وليس ينكر مسلمُ

يظهر التدقيق في البيتين والإنعام فيهما أنَّ الشاعرَ يستنكر ما فعله يزيد بالإمام الحسين عليه السلام، وكيف أنهُ مشردٌ في الفلوات، وهو ابن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله, في حين أَنَّ ابن هند آكلة الأكباد غارق في اللذات وهو الطليق ابن الطلقاء، فقوله: (ابن فاطمة) هذا دليل على المكانة المرموقة للحسين عليه السلام، ففاطمة هي بضعة الرسول صلى الله عليه وآله.

فيزيد اغتصب حق الحسين عليه السلام عن طريق التآمر والخديعة، وهو أصبح يرقى منابر رسول الله، ويطارد أبناءه ويقتلهم ظلماً وبهتاناً، وكل ذلك أمام أنظار المسلمين وعلى أسماعهم، وهم لا ينكرون عليه ذلك، (وليس ينكر مسلم).

فالشاعر هنا يشير إلى حقيقة وهي أن الظلم السياسي الذي كان يمارسه يزيد بن معاوية على الحسين عليه السلام خاصة، والعلويين عامة كان سبب معاناته وتأزم نفسيته

وإذا انتقلنا إلى المقطوعة التالية من القصيدة والتي يقول فيها:

خرج الحسين من المدينة خائفاً

كخروج موسى خائفاً يتكتمُ

وقــد انجلى عن مكة وهو ابنها

وبــه تَشَرَّفــَتِ الحــطيمُ وزمزم

لــم يــدرِ أين يريح بــدنَ ركابه

فــــكأنما المــأوى عــليه مُحَرَّمُ

يظهــر لنــا هــذا البيــت بــأن الحسين عليه السلام كــان خائفاً من يزيد، فخروجــه من مدينة جــده لم يكن بإرادتــه, وهــذا الافتــراض تَأَتَّــى مِــنْ قوله: (كخــروج موسى خائفا يتكتم), فموســى عليه السلام كان خائفا من فرعون الذي ينتظر به الشر[٣٤]، بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفــــاً يَتَرَقَّبُ﴾[القصــص/١٨]، فكان خروج الحسين شبيهاً بخروج موســى, فيزيد بــن معاويــة, عُرِفَ بفسقه وفجوره وظلمه، فهو فرعون عصره كمــا تبين لنا مــن الصورة التــي تضمنها البيت أعــلاه ، وهذا الأسلــوب الــذي استعملــه الشاعر في هــذا البيت يسمــى اقتباساً من القرآن, وقــد يسميه بعض المحدثين تناصّاً.

ومــن استقــراء أبيــات القصيدة وجدنــا أن الشاعــر قــد أكثر من تلــك التشبيهــات القرآنيــة, وشيوع هذا النوع مــن التشبيهات له علاقة بالتربيــة الدينيــة التي تربــى عليها الشاعــر، فهو ابن بيئتــه وعصره، شأنه شــأن جميع الشعــراء، لذلك نجــد مادتــه اللغويــة مستوحاة من القــرآن الكــريم أولاً، ومن الشعر العربي القديم ثانياً.

إن هذا النوع من التشبيهات يقومُ على استحضار الشاعر لبعض آيات القــرآن الكريم وألفاظه وتضمينها في أشعاره، ومن ذلك قوله:

ولصبــــر أيــوب الذي ادرعوا به

مِــنْ نسج داود أشــد وأحــكمُ

وهنــا تلميح واستحضــار لقصة النبي أيوب عليه السلام، والتي جاء ذكرها في القرآن الكريم:﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص/٤٤]، أي:

وقلنا لـه: خذ بيدك حُزمة شماريخ، فاضرب بها زوجـك إبرارًا بيمينك، فلا تحنث؛ إذ أقسـم ليضربنَّها مئة جلـدة إذا شفـاه الله، لـمَّـا غضب عليهـا من أمر يسيـر أثناء مرضه، وكانت امـرأة صالحـة، فرحمها الله ورحمه بهـذه الفتوى. إنا وجدنا أيوب صابـرًا على البلاء، نِعم العبد هو، إنه رجَّاع إلى طاعة الله, فالنبي أيوب صار بالصبر من الأئمة[٣٥].

وإذا أمعنا النظر في البيت نفسه, لوجدنا تلميحاً آخرَ وهو في عجزه: (من نسج داود أشد وأحكم), وهذا مأخـوذ من قوله تعالـى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ/١٠].

أما في قوله:

لـو سـد ذي القـرنين دون وروده

نسفته هـمته بما هـو أعـظم

فهنـا نجـد تلميحـاً لقصة ذي القرنين التي ذكرهـا الله سبحانه وتعالـى فـي كتابـه الكـريم؛ إذْ قـال: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف/٩٤].

إن ارتبـاط لغـة الشاعـر بلغـة القـرآن, وتناصه الدائـم معها, ومع موضوعاتهـا, ممـا يضفـي عليهـا الطابـع القدسـيّ السلطـوي, وهي إحالة إلى القيمـة المعرفية للشاعر, وإلى أن القـرآن واقعها الذي تستند إليـه؛ والركن الـذي تتكئ عليه حيث تكون دعمـا ناجحا للوظيفة الإقناعية من هذه الناحية, بل تمكن لها في الخطاب.[٣٦]

والإقنـاع في الشعـر يختلفُ من شاعـرٍ إلـى آخر، وقـد يختلف من قصيـدة إلى أخـرى للشاعر نفسه, مما يعني أن الإقناع قد تختلف قوته فقد تضعف وقـد تقوى, حسب قدرة الشاعـر وصدقه, حيـث إن الشاعر يوجه حديثه إلى السامع (المتلقي) على أساس ما يفترض أنه معلوم له.[٣٧]

كما نلحظ في قول الشاعر السيد

الحلي:

وقد انجلى عن مكة وهو ابنها
وبه تَشَرَّفَتِ الحطيمُ وزمزمُ
لم يدرِ أين يريح بدن ركابه
فكأنما المأوى عليه مُحَرَّمُ

إن هذين البيتين قد تضمنا افتراضاً سابقاً, بأن الحسين عليه السلام ليس ابن مكة فحسب؛ بل هو سيدها، إن استعمال الفعل (انجلى) دلالة على افتراض أن الحسين ترك مكة والمدينة مجبراً، وهو الذي تشرفت به الأراضي المقدسة, وهذا افتراض آخر، مفاده أن الحسين والذي هو ابن بنت النبي محمد صلى الله عليه وآله، وبيت الله قد تشرف بالحسين، ومع ذلك أصبح لا مأوى له ولا ناصر ينصره ضد الظلم والجور سوى ثلة قليلة من الرجال المؤمنين الشجعان.

أما المقطع الذي يصف فيه العباس عليه السلام فهو:

ما راعهم إلا تقحّم ضيغم
غيران يعجم لفظه ويُدمدمُ
عبست وجوه القوم خوف الموت والـ
ـعباس فيهم ضاحك مُتبسّمُ
قلبَ اليمينَ على الشمالِ وغاصَ في الـ
وساطِ يحصدُ في الرؤوسِ ويحطمُ
وَثَنَى أبو الفضل الفوارسَ نُكّساً
فرأوا أشد ثباتهم أن يُهزموا
ما كرَّ ذو بأس له مُتقدماً
إلَّا وفرَّ ورأسه المُتقدّمُ
صبغ الخيولَ برمحه حتى غدا
سيَّان أشقر لونها والأدهمُ
ما شدّ غضباناً على ملومةٍ
إلَّا وحلّ بها البلاء المُبرمُ

وأن هذا المقطع ولا سيما بيته الأول يستبطن افتراضاً سابقاً دلت عليه الألفاظ الآتية: (راعهم، تقحم، غيران، يعجم، يدمدم).

وهو أن العدو (أتباع يزيد بن معاوية)، يعرفون جيداً شجاعة العباس بن علي عليهما السلام، فالخوف الذي أصابهم هو نتيجة قوة دخول هذا

الضيغم المملوء بالغيرة, والضيغم هو اسم من أسماء الأسد.

أما قول الشاعر:( يعجم لفظه), فليس العباس عليه السلام هو الذي لفظه أعجمي؛ بل القوم من شدة خوفهم ورهبتهم يرونه يعجم باللفظ، أما (يدمدم) فمعناها يطبق عليهم.

وهو تلميح إلى قصة نبي الله صالح عليه السلام في قوله تعالى:﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس/١٤]،أي (فكذبوه) في قوله ذلك عن الله المرتب عليه نزول العذاب بهم إن خالفوه (فعقروها) قتلوها ليسلم لهم ماء شربها ، (فدمدم) أطبق (عليهم ربهم) العذاب (بذنبهم فسواها) ، أي الدمدمة عليهم أي عمهم بها فلم يفلت منهم أحد.[٣٨]

## الأفعال الكلامية

إن نظرية الأفعال الكلامية تعد جوهر الدراسة التداولية, كما أنَّ هذه النظرية تستأثر باهتمام الباحثين في جوانب النظرية العامة لاستعمال اللغة, فعلماء النفس يرون اكتسابها شرطاً أساسياً لاكتساب اللغة كلها, ونقاد الأدب يرون فيها إضافة لما تحمله النصوص من فروق دقيقة في استعمال اللغة وما تحدثه من تأثير في المتلقي, والأنثروبولوجيون يأملون أن يجدوا فيها تفسيراً للطقوس والرقى السحرية, والفلاسفة يرون فيها مجالاً خصباً لدراسة علاقة اللغة بالعالم, واللغويون يجدون فيها حلولاً لكثيرٍ من مشكلات الدلالة والتراكيب, وتعليم اللغة, أما في الدرس التداولي فإن الأفعال الكلامية تضل واحدةً من أهم المجالات فيه, إنَّ لم تكن أهمها جميعاً, بل إن التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلامية.[٣٩]

فهي جزء أساس من بنية المنهج التداوليّ بحسب رأي العلماء

المؤسِّسين للتداولية[٤٠].

أما الفعل الكلاميّ speech act فيعد نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية[٤١]، وهو ((كل ملفوظ يفضي التلفظ به في شروط معينة إلى حدث أو فعل، ينتج هذا الفعل آثارا قد تكون لغوية وقد تكون غير لغوية))[٤٢].

والفكرة العامة لهذه النظرية- الأفعال الكلامية - أساسها بحث العلاقة بين اللغة والاتصال, ومراعاة الجانب الاستعمالي طبقاً لسياقات التخاطب المقالية والمقامية, ودراسة التلفظ بوصفه وحدة لغوية تدخل عالماً ممكناً فترتبط به ارتباطاً قيماً هدفهُ الإنجاز وإحداث تغيّر اجتماعي أو مؤسساتي معين؛ ذلك أن خاصية إنتاج الملفوظ وفقاً لقصد المتكلم لا تساعد على بناء الدلالة فقط , بل على الدفع بتلك الدلالة إلى بناء فعل منجز في العالم الخارجي[٤٣].

إن أول من وضع هذه النظرية هو الإنجليزي أوستين Austin وأشار إليها في محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفرد عام ١٩٥٥م، والتي قام بنشرها بعد وفاته أحد طلبته بعنوان: (كيف نصنع الأشياء بالكلمات) أو (عندما يعني القول الفعل) عام ١٩٦٢م[٤٤].

قد ميز أوستين بين نوعين من الأفعال الكلامية، الأول أفعال إخبارية، وهي أفعال تصف العالم الخارجي ووقائعه وتكون صادقة أو كاذبة، وأخرى أفعال أدائية تنجز بها في ظروف ملائمة أفعال لا توصف بصدق أو كذب، بل تكون موفقة أو غير موفقة ويدخل فيها التسمية والوصية والاعتذار والرهان والنصح والوعد. ثم قدم أوستن تصنيفاً للأفعال الكلامية بلحاظ قوتها الإنجازية[٤٥].

واقترح أوستين أن يتمَّ هذا التصنيف في إطار نظرية شاملة

توحد كلَّ العبارات اللغوية في مصطلح واحد، وهو مصطلح (الفعل الكلامي) الذي يمثل مرحلة فكرية ثالثة عند أوستين هي مرحلة نظرية الأفعال الكلامية , متوصلاً بذلك إلى أن تلفظ أو قول كلام ما يعني إنجاز فعل كلامي ما.[٤٦]

وهذا التصنيف أو التقسيم اشتمل على خمسة أصناف هي:

١- الحكميات، وفي جوهرها إطلاق أحكام على واقع أو قيمة مما يصعب القطع بها ومن أمثلتها: قيّم، حكم، وصف، حلل، صنّف، فسّر وغيرها.

٢- الانفاذيات، تقوم على إصدار قرار لصالح أو ضد سلسلة أفعال، مثل: أمر، قاد، دافع عن، ترجى، طلب، تأسف، نصح، عيّن، نبّه، طالب...

٣- الوعديات، تشير إلى إلزام المتكلم بأداء فعل ما، كما قد تكون إفصاحات عن نواياه، ومن أمثلتها: وعد، أقسم، راهن، عقد، عزم، نوى...

٤- السلوكيات، تتعلق بردود فعل تجاه سلوك الآخرين وتجاه الأحداث المرتبطة بهم، مثل: الاعتذار، الشكر، التهنئة، الترحيب، النقد، الهجاء، التوبيخ.

٥-التبينات، تستعمل لعرض مفاهيم وتوضيح استعمال كلمات وضبط مراجع، مثل: أكّد، أنكر، وهب، نقل، أثبت، استنبط، وغيرها[٤٧].

إن ما قدمه أوستن لم يكن كافياً لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية, لكنه كان كافياً ليكون نقطة انطلاق لجون سيرل الذي أتى بعده ليكمل ما جاء به أوستن حول الفعل اللغوي وبالتحديد (الفعل الإنجازي).[٤٨]

ميز سيرل بين نوعين من الأفعال: الأول أفعال تمريرية، والآخر أفعال تأثيرية، والفعل التمريريّ هو أصغر وحدة مكتملة في الاتصال اللغوي

الإنساني، فحينما نكتب أو نتكلم فإننا نؤدي أفعالاً تمريرية، ونحتاج أن نميّز الأفعال التمريرية التي هي الخاصة من تحليلنا عن الآثار والنتائج التي يمكن أن تسفر عنها الأفعال التمريرية في المستمعين، فمثلا: من خلال أمرك بأن تفعل شيئا، أدفعك إلى أن تقوم به، ومن خلال المجادلة معك قد أتمكن من حثّك، وحين أصدر حكما قد أقنعك، ففي هذه الأمثلة نوعان من الأفعال، إذ تعرض العبارة الأولى من كل مثال فعلاً تمريريّاً، وتذكر العبارة الثانية أثر ذلك الفعل، وهو الذي اصطلح عليه سيرل بـ ( الفعل التأثيريّ)[٤٩].

## الأفعال الكلامية في قصيدة (وجه الصباح)

يرتبط مفهوم الأفعال الكلامية الشاملة بأي دراسة لأفعال الكلام في الخطابات الأدبية والمسرحية التي لا تكتفي بالأفعال الأولى ( الوعد، الشكر، التهنئة، التحذير، وغيرها)، وإنما تتجاوز هذا المستوى إلى مستوى دلالي أعلى، فهي أفعال ذات قيمة كلامية شاملة[٥٠].

معنى ذلك أن كل نص أدبي مهما طال, فإنه يؤدي فعلاً كلاميّاً واحداً, حتى لو تعددتِ الأفعالُ الكلامية التي ترد فيه؛ وهذا ما نجده في النصوص التي يكون الغرض الرئيس منها واحدا ويتخلله أغراض ثانوية أخرى.

أما فيما يخص نصنا – قصيدة وجه الصباح –, فنلحظ أن المقطع الواحد للقصيدة, يسيطر عليه فعلٌ كلاميّ شموليّ واحدٌ بلحاظ الأفعال الكلامية الأخرى, وسنحلل هنا بعض الأفعال الكلامية التي وردت في بعض أبيات القصيدة.

وما خلت أنَّ الدهر من عاداته

تروى الكلاب به ويظمى الضيغمُ

الفعل الكلامي (خلت), ويتشكل هذا الفعل من:

فعل إسنادي/ نحوي: جملة فعلية مكونة من الحمولة المتمثلة بالفعل (خلت), وموضوعه الأساس هو الفاعل المستتر(أنا), أي الشاعر, ومن موضوع ثان(أن الدهر), ومن لاحق الجار والمجرور في قوله: (من عاداته).

فعل إحالي: يتمثل في الإحالة على المتكلم بالضمير المستتر في الفعل (خلت).

فعل إنجازي: يتجسد في الجملة الفعلية الخبرية التي تتكون حمولتها الخبرية من قوة إنجازية مستلزمة تتمثل في الإخبار على أن الدهر غير منصف بجعله الأسد عطشان في حين أنَّ الكلب يرتوي من لذيذ الماء, وهذا هو التناقض الذي يشير إلى انعدام العدالة, وهو فعل يقع في دائرة التبينات.

قال الشاعر:

وقد انجلى عن مكة وهو ابنها
وبه تشرفتِ الحطيمُ وزمزم

الفعلُ الكلامي (انجلى), يتشكَّل من:

١- فعل إسنادي/ نحوي: جملة فعلية مكونة من الحمولة المتمثلة بالفعل (انجلى), وموضوعه الأساس هو الفاعل المستتر(هو)، ومن موضوع ثان (عن مكة).

٢- فعل إحالي يتمثل في الإحالة على الحسين عليه السلام بالضمير المستتر(هو) في الفعل (انجلى).

٣- فعل إنجازي: يتجسد في الجملة الفعلية الخبرية التي تتكون حمولتها الخبرية من قوة إنجازية مستلزمة تتمثل في الإخبار عن مظلومية الإمام الحسين وما تعرض له هو وأهله وأصحابه من تهجير وقتل وسبي, وهو فعل يقع في دائرة السلوكيات.

وفي قوله وهو يمدح أصحاب الحسين عليه السلام:

فَمَشَتْ تَؤُمُّ به العراق نجائبٌ
مثل النعام به تخبّ وترسمُ

الفعل الكلامي (تأم)، ويتشكل هذا الفعل من:

فعل إسنادي/ نحوي: جملة فعلية مكونة من الحمولة المتمثلة بالفعل(تأم)، وموضوعه الأساس هو الفاعل الظاهر(نجائب), ومن موضوع ثان (به العراق).

فعل إنجازي: يتجسد في الجملة الفعلية الخبرية، وتتكون حمولتها الخبرية قوة إنجازية تتمثل بالإخبار عن النخبة الخيرة التي تبعت الإمام الحسين عليه السلام ولازمته إلى كربلاء واستشهدت بين يديه، وهو فعل يقع في دائرة الانفاذيات.

أما في الأبيات التي وصف الشاعر بها العباس عليه السلام، فهناك أفعال كلامية كثيرة, وللاختصار وتجنب التكرار سوف نذكر ما ورد في بيت واحد ونكتفي فقط، وهو قوله:

قلبَ اليمينَ على الشمالِ وغاصَ في الـ
أوساطِ يحصدُ في الرؤوسِ ويحطمُ

الفعل الكلامي (قلبَ), ويتشكل هذا الفعل من:

١- فعل إسنادي/ نحوي: جملة فعلية مكونة من الحمولة المتمثلة بالفعل (قلب), وموضوعه الأساس هو الفاعل المستتر (هو), ومن موضوع ثان هو المفعول به(اليمين), ومن لاحق الجار والمجرور في قوله: (على الشمال).

٢-فعل إحالي يتمثل في الإحالة على العباس عليه السلام بالضمير المستتر(هو) في الفعل (قلب).

فعل إنجازي: يتجسد في الجملة الفعلية الخبرية, حمل حمولة إنجازية تتمثل بالإخبار عن بطولة وشجاعة وبسالة العباس عليه السلام, وما فعله في صفوف جيش يزيد بن معاوية, فلا تكاد تعرف ميمنة جيشه من ميسرته من شدة خوف مقاتليه وتطاير رؤوسهم بسيف العباس بن علي عليهما السلام وهو فعل يقع في دائرة الإنفاذيات.

## نتائج البحث

من أهم النتائج التي يمكن رصدها في بحثنا الآتي:

١- بعد الإمعان في التدبّر في قصيدة (وجه الصباح)، يتبيّن أن القصيدة قد اشتملت على عدة مقاطع عدة , وكل مقطع منها له سياق تواصلي خاص به.

٢- كشفت المقاربة التداولية لقصيدة (وجه الصباح), وبوساطة المعطيات النصية شبكة من العلاقات الدلالية التي تعمل على ربط مقاطع القصيدة.

٣- ارتباط لغة الشاعر بلغة القرآن, وتناصه الدائم معها, ومع موضوعاتها, مما يضفي عليها الطابع القدسي السلطوي, وهي إحالة إلى القيمة المعرفية للشاعر, وإلى أن القرآن واقعها الذي تستند إليه.

٤- بلحاظ الإضمارات التداولية (الافتراض السابق) في قصيدة (وجه الصباح)، يوجه الشاعر (جعفر الحلي) حديثه إلى المخاطب (المتلقي) على أساس مما يفترض سلفاً أنه معلوم له, على اعتبار أن الخطاب له رصيد من الافتراضات السابقة (يضم معلومات) مستمدة من المعرفة العامة، وسياق الحال، فلدى كل طرف من أطراف الخطاب، رصيد من الافتراضات السابقة.

٥- تعددت الأفعال الكلامية المتضمنة في قصيدة (وجه الصباح), ومن أهمها الأفعال الأدائية الإنجازية، فهي أفعال لا توصف بالصدق والكذب كالأفعال الإخبارية في غير كلام الله عزّ وجلّ، والأئمة المعصومين, وإنما هي أفعال تنجز في ظروف ملائمة.

## الهوامش:

(١) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ص٢٧.

(٢) ينظر: المدارس اللسانية المعاصرةص ١٦٦.

(٣) ينظر: المحاورة مقاربة تداولية ص ٧.

(٤) ما التداولية ؟، ص ١٧.

(٥) مبادئ في اللسانيات: ص١٧٦-١٧٧.

(٦) السيمياء وفلسفة اللغة: ص٤٥٥.

(٧) أعيان الشيعة ١٥ ٤٠١.

(٨) البابليات ٣ ٥.

(٩) سحر بابل وسجع البلابل ص١٥.

(١٠) إشكالية المعنى في الجهد التفسيري ص٧٠.

(١١) النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة ١١.

(١٢) مفهوم الجملة عند سيبويه الدكتور حسن عبد الغني١٩٤.

(١٣) مقدمة كتاب توحيد المفضل دراسة تداولية ص٥.

(١٤) تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب أنموذجًا ص١١٢.

(١٥) المرجع نفسه ص١١٥.

(١٦) جماليات التركيب اللغوي في السور الطوال في القرآن الكريم ص٢٦.

(١٧) التداولية عند العرب مسعود صحراوي٩٥.

(١٨) اللغة العربية معناها مبناها ص٣٣٧

(١٩) لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ٢٩.

(٢٠) اللغة العربية معناها ومبناها ص٣٤١.

(٢١) تاج العروس مادة (غور).

(٢٢) جماليات التركيب اللغوي في السور الطوال في القرآن الكريم ص ٦٢-٦٣.

(٢٣) المرجع نفسه ص٧٢.

(٢٤) التداولية الإبداعية في الشعر الثوري الجزائري ص٢٢٣.

(٢٥) ينظر: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة.

(٢٦) ينظر: المقاربات التداولية في شرح السيرافي على كتاب سيبويه ص١١٩.

(٢٧) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ص١١٣.

(٢٨) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٣٠.

(٢٩) النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة ص٢٠.

(٣٠) ينظر: المقاربات التداولية لشرح السيرافي على كتاب سيبويه ص١٢٠.

(٣١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٢٦.

(٣٢) ينظر: المقاربات التداولية لشرح السيرافي على كتاب سيبويه ص١٢٠.

(٣٣) مراثي السيد جعفر الحلي الحسينية ص٢٠٩.

(٣٤) الميزان في تفسير القرآن ١٦/ ٢١.

(٣٥) ينظر: الكشاف ٢ ١٠٣٨.

(٣٦) التداولية الإبداعية في الشعر الثوري الجزائري ص٢٢٥.

(٣٧) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٢٦.

(٣٨) ينظر الكشاف ٢ ١٠٣٥٩.

(٣٩) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٤٠-٤١.

(٤٠) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ص ٥.

(٤١) ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية ص ٤٠.

(٤٢) تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب أنموذجاً ١٤٩.

(٤٣) المقاربـاتُ التّداوليّة في شرح السّيرافيّ على كتاب سيبويه ص ١٣١.

(٤٤) ينظر: نظرية الفعل الكلامي: ٣٩.

(٤٥) مقدمة كتاب توحيد المفضل دراسة تداولية ص١٦.

(٤٦) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة: ص٢٣.

(٤٧) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر٤٣- ٤٦.

(٤٨) ينظر: المرجع نفسه ص٤٧.

(٤٩) مقدمة كتاب توحيد المفضل دراسة تداولية ص١٩.

(٥٠) ينظر: الأفعال الكلامية في الشعر السياسي لنزار قباني ص٧٨.

## مصادر البحث ومراجعه


١- القرآن الكريم

٢- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، أ.د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٤م.

٣- الآيات المتعلقة بالإمام علي عليه السلام دراسة في ضوء المعنى النحوي الدلالي، رضي فاهم، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة كربلاء، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

٤- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحـ: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.

٥- أعيان الشيعة:السيد محسن الأمين؛ تحقيق حسن الأمين دار التعارف للمطبوعات بيروت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٦- الأفعال الكلامية في الشعر السياسي لنزار قباني، بو زيد عائشة، كلية العلوم والحضارة الإسلامية، جامعة الجزائر.

٧- الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحـ: لجنة التحقيق في جمعية المنتدى، النجف الأشرف، مطبعة الخيام، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

٨- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، سليمان زاده، قم، ط١، ١٤٢٦هـ

٩- الأمر بين النحويين والأصوليين وأثره على الاختلاف في الأحكام الشرعية، د. نجم الفحام، دار المدينة الفاضلة، بغداد، ط١، ٢٠١٣م.
١٠- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، الشيخ كمال الدين الأنباري، تحـ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د.ط، د.ت.
١١ - البابليات: محمد علي اليعقوبي، النجف الأشرف، ١٩٥٤م.
١٢- التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة، أبو جعفر الطوسي، تحـ أحمد حبيب قصير العاملي، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، ط١، ١٤٠٩هـ
١٣- التداولية عند العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
١٤- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
١٥-جماليات التركيب اللغوي في السور الطوال حيدر عذاب حسين دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ٢٠١٥م.
١٦- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، د. مؤيد آل صوينت، مكتبة الحضارات، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
١٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، د.ط، د.ت.
١٨- الدلالة في لغة الصوفية، د. زينة جليل عبد، ديوان الوقف السني، بغداد، ط١، ٢٠١١م.
١٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة الآلوسي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ط، د.ت.
٢٠-سحر بابل وسجع البلابل السيد جعفر الحلي تحقيق الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء المطبعة أمير قم مشورات الشريف الرضي ١٤١١ه.
٢١- السياق التداولي في كليلة ودمنة لابن المقفع، حبي حكيمة، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، كلية الآداب.
٢٢- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحـ د.مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م.
٢٣- فتح القدير بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
٢٤- الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحـ عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.
٢٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل عن وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، رتبه وضبطه محمد عبد

السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.

٢٦- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، تحـ عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٧- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٣، ٢٠١٢م.

٢٨- اللغة والعقل والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٩- المحكم والمحيط والأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسيّ، تحـ عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٣٠- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، د. أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠٠٦م.

٣١- نظرية أفعال الكلام العامة، أوستن، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، د.ط، ١٩٩١م.

٣٢- النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، د. أحمد فهد صالح شاهين، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، د.ط، د.ت.

٣٣- الوظائف التداولية في اللغة العربية، د. أحمد المتوكل، دار الثقافة، المغرب، ط١، ١٩٨٥م.

## المجلات

١ - الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، د. يحيى أحمد، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، ١٩٨٩م.

٢- دلالة النداء وأنماط استعماله في شعر المتنبي، أ.م.د. ظاهر محسن كاظم، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد الثالث، العدد الثالث.

٣- ما التداولية؟ ، د. مجيد الماشطة، مجلة الأديب، بغداد، السنة الثالثة، ع٥٨، التاسع ، شباط فبراير ،٢٠٠٥ م .

٤- الملمح التداولي في النحو العربيّ تحليل واستنتاج، م.د. نعمة دهش فرحان الطائي، مجلة العميد، العدد الثامن، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٣م.

٥- مراثي السيد جعفر الحلي دراسة أسلوبية، د. فارس عزيز مسلم، مجلة جامعة بابل، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، العدد ٢، ٢٠١١م.